الوحدة الثانية

التنويع الأسلوبي

الأهداف:

أ .تعريف الدارس بظاهرة التنويع الأسلوبي، والمصطلحات التي أطلقها البلاغيون القدماء عليها.

ب . إيقاف الدارس على مجالات تحقق هذه الظاهرة في القرآن.

ج . تقوية الحس البلاغي للدارس بتحليل العديد من الآيات التي وظفت فيها هذه الظاهرة، ومدى بلاغتها.

العناصر:

- التعريف بظاهرة التنويع الأسلوبي، وعرض أهم المصطلحات التي أطلقها البلاغيون القدماء عليها.

- عرض مجالات تحقق هذه الظاهرة في القرآن الكريم، وهي: مجال الصيغ - مجال العدد - مجال الضمائر - مجال الأدوات - مجال البناء النحوي.

- تحليل عدد من الآيات من خلال تلك المجالات، والوقوف على سر التنويع الأسلوبي فيها.

التنويع الأسلوبي

التعريف بظاهرة التنويع الأسلوبي :

تعد هذه الظاهرة من أهم وأكثر الظواهر البارزة في بلاغة النظم القرآني.

ويقصد بالتنويع الأسلوبي: أن تتنوع اختيارات المبدع بين البدائل اللغوية المشتركة في أداء أصل المعنى طلبا للتعبير الأكثر ملاءمة للسياق والمقام.ولننظر مثلا إلى قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَافَّاتٍ وَيَقْبِضْنَ﴾ (الملك: ١٩).نجد أن لفظتى (**صافات - ويقبضن**) يمكن أن يعبر عن الحديث فيهما وهو أصل المعنى بأكثر من طريقة مثل : (صافات قابضات) أو (يصففن ويقبضن)فالنمط الأول : (صافات قابضات) تكرر فيه اسم الفاعل.والنمط الثاني : (يصففن ويقبضن) تكرر فيه الفعل المضارع.وأي من النمطين جاء على أسلوب واحد هو صيغة اسم الفاعل في الأول ، وصيغة الفعل المضارع في الثاني دون تنويع في الأسلوب.

ولكن الآية قد اختارت اسم الفاعل الدال على الثبات للتعبير عن الحدث فى اللفظة الأولى واختارت الفعل المضارع الدال على الحدوث والتجدد للتعبير عن الحدث فى اللفظة الثانية، وما ذلك إلا رعاية للمعنى الفنى الدقيق الذى أرادت الآية أن ترمز إليه وتدل عليه.

قال الزمخشرى: "فإن قلت: لم قيل (**ويقبضن، ولم يقل قابضات**) (**قلت**) لأن الأصل فى الطيران هو صف الأجنحة؛ لأن الطيران فى الهواء كالسباحة فى الماء، والأصل فى السباحة مد الأطراف وبسطها، وأما القبض فطارئ على البسط للاستظهار به (أي الاستعانة) على التحرك فجيء بما هو طارئ غير أصل بلفظ الفعل على معنى أنهن صافات، ويكون منهن القبض تارة بعد تارة كما يكون من السابح"[١].

فكأن الآية قد رمزت بذلك - فضلا عن إثبات حدثي الصف والقبض - إلى أن الصف هو غالب فعل الطير فى جو السماء وأن القبض يكون عارضا، وهذا المعنى وإن لم يكن مقصودا بالأصالة من الكلام، فإن اختيار الآية لهاتين الصيغتين قد شمل هاتين الدلالتين دون أن يزيد فى لفظ الكلام بل عبر عن المعنى بهيئة اللفظ نفسه وليس بلفظ آخر، ولو خولفت تلك الصياغة، وأريد التعبير عن تلك المعانى، لقيل **(يصففن غالبا ويقبضن أحيانا)** وفيه من الركاكة والتطويل ما فيه، فضلا عن أن المعنى الذي أضافته هاتان الصيغتان في الآية ليس مقصودا من الكلام بالأصالة؛ وإنما هو متمم لبيان القدرة وتمام الحكمة، فكان تضمينه فى هيئة الكلمة وبنيتها أولى من الإتيان بلفظ جديد يخصه.

والمقصد هنا أن نبين أن أصل المعنى يمكن الدلالة عليه بأكثر من صيغة. فأصل المعنى فى الآية لفت الأنظار إلى قدرة الله فى حفظ الطير وتسخيره فى جو السماء فى حالتى القبض والبسط، وهذا يحصل بالتعبير باسم الفاعل أو المضارع لكن الآية قد اختارت للمعنى الأول اسم الفاعل، وللثانى صيغة المضارع من باب التنويع الأسلوبي للدلالة على معنى أخص وأدق من أصل المعنى وهو مجرد التعبير عن الصف والقبض.

التنويع الأسلوبي بين الموروث البلاغي والأسلوبية الحديثة:

استخدمت لهذه الظاهرة في تراثنا البلاغي عدة مصطلحات لا تكاد تختلف كثيرا عن مثيلاتها في الأسلوبية الحديثة نحو : (الاختيار – العدول – الالتفات – شجاعة العربية – مخالفة مقتضى الظاهر ..الخ) وعرفت في الأسلوبية الحديثة بمصطلحات مقاربة لتلك نحو: (الاختيار - الانحراف – الانزياح – العدول - المجاوزة ..الخ)وهذا ما تكشف

عنه تعريفات الأسلوبيين للأسلوب ؛ حيث عرفه بعضهم بأنه اختيار ، وبعضهم بأنه انحراف ..الخ"[٢]

وتتسم هذه الظاهرة بتنوع مجالاتها بين الصيغ الصرفية والأعداد والضمائر والأدوات والبناء النحوي على نحو ما نرى في الصفحات التالية

أولا : التنويع الأسلوبي في مجال الصيغ:

التنويع بين اسم الفاعل والمضارع :

فمن ذلك ما علق به عبد القاهر على قوله تعالى: ﴿هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ (فاطر:٣).

فلو قيل "هل من خالق غير الله رازق لكم" لكان المعنى غير ما أريد[٣] وذلك أن المقصود فى الآية تقرير العباد برزق الله تعالى لهم، ويمكن أداء ذلك المعنى الأصلى باسم الفاعل "رازق" أو بالمضارع "يرزق" أو غير ذلك، إلا أن فى التعبير بالمضارع (يرزق) من الدلالة على تجدد الرزق وحصوله للعباد كل وقت، ووجدانهم إياه بعد حاجة إليه وافتقار - فيه من دقة المعنى ولطفه مالا يفيده التعبير باسم الفاعل.

التنويع بين صيغة الماضي وصيغة اسم الفاعل:

من مواضع العدول إلى اسم الفاعل فى القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿وَلَئِنْ أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ ۚ وَمَا أَنْتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ﴾ (البقرة:١٤٥) حيث عدلت الآية عن التعبير بصيغة الفعل التى عبرت بها فى حق أهل الكتاب إلى صيغة الاسم فى حق النبىﷺ فجاء التعبير باسم الفاعل منفيا لينفى عن النبىﷺ أهليته لهذا الأمر من الأصل، ويؤيد ذلك أن اسم الفاعل يأتى للنسبة ومن ثم كان التعبير باسم الفاعل منفيا لأدنى احتمال فى انتساب النبى ﷺ لمتابعة الكتاب ، وذلك على نحو ما جاء فى

قوله تعالى: ﴿وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ ۝٤﴾ (٤) ولذا قال الألوسى: ﴿وَمَآ أَنتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ﴾ أى لا يكون ذلك منك ومحال أن يكون" وقال الزمخشرى" وما أنت بتابع قبلتهم" حسم لأطماعهم(٥) هذا فضلا عن أن الإخبار باسم الفاعل فى هذه الجملة أدى إلى تكرار الاسم فيها مما زادها تأكيدا ومبالغة فى النفى المؤكد بالباء(٦).

وقد استشف صاحب الظلال تلك المعانى السابقة جميعا فعبر عنها فى عبارة واحدة فقال: "وما أنت بتابع قبلتهم" ليس من شأنك أن تتبع قبلتهم أصلا. واستخدام الجملة الاسمية المنفية هنا أبلغ فى بيان الشأن الثابت الدائم للرسول - صلى الله عليه وسلم - تجاه هذا الأمر(٧).

ومن ثم نرى كيف جاءت هذه الصيغة دالة على معنى النفى الحاسم لتيئيس أهل الكتاب من أطماعهم فى اتباع النبى ﷺ لقبلتهم رجاء أن يتبعهم فى دينهم، فجاء التعبير بهذه الصيغة منفية للدلالة على انتفاء أهلية النبى ﷺ لهذا الأمر من أصله، ومن ثم انتفاء نسبته إليه.

التنويع الأسلوبي بين الاسم وفعل الأمر:

عرض ابن الأثير أمثلة هذا النوع من التنويع:" كقوله تعالى: ﴿قُلْ أَمَرَ رَبِّى بِٱلْقِسْطِ ۖ وَأَقِيمُوا۟ وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۚ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ ۝٢٩﴾ (الأعراف: ٢٩) وكان تقدير الكلام: أمر ربى بالقسط وبإقامة وجوهكم عند كل مسجد فعدل عن ذلك إلى فعل الأمر للعناية بتوكيده فى نفوسهم، فإن الصلاة من أوكد فرائض الله على عباده ثم أتبعها بالإخلاص الذى هو عمل القلب، إذ عمل الجوارح لا يصح إلا بإخلاص النية ولهذا قال ﷺ "الأعمال بالنيات"(٨).

التنويع الأسلوبي بين اسم الفاعل وصيغة المبالغة:

ومن أمثلة ذلك ما ورد فى سورة الشعراء فى قصة موسى على لسان فرعون: ﴿قَالَ لِلْمَلَإِ حَوْلَهُۥٓ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ ۝٣٤ يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُم

بِسِحْرِهِۦ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴿٣٥﴾ قَالُوٓا۟ أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَٱبْعَثْ فِى ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ﴿٣٦﴾ يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٍ ﴿٣٧﴾ (الشعراء: ٣٤-٣٧)

حيث جاء التعبير بصيغة المبالغة سحّار فى هذا الموضع دالا على مقابلة الملأ وصف فرعون لموسى بالسحر وتأكيده على أنه يريد أن يخرجهم من أرضهم (**بسحره**) فناسب ذلك أن يقابلوا ذلك بالوصية بالإتيان بكل سحار عليم يفوق سحره سحر موسى.

وتتضح هذه النكتة حينما نقف على سياق القصة المشابه فى سورة الأعراف حيث يقول الله تعالى على لسان الملأ من قوم فرعون: ﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ ﴿١٠٩﴾ يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُمْ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴿١١٠﴾ قَالُوٓا۟ أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَرْسِلْ فِى ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ﴿١١١﴾ يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٍ ﴿١١٢﴾﴾ (الأعراف: ١٠٩-١١٢).

وقد علل بعضهم مجيء صيغة المبالغة فى الشعراء دون الأعراف بأن المبالغة فى الشعراء مناسبة لقول فرعون ﴿إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ ﴿٣٤﴾﴾ (٩).

ولكن يضعف من هذا التعليل أن الملأ قد وصف موسى كذلك فى الشعراء بأنه (**ساحر عليم**) وأرى أنه لم تأت المبالغة (**سحار**) فى سورة الأعراف؛ لأنه لم ينص على أن المحذور - وهو إخراج موسى لهم من أرضهم - إنما يقع (**بسحره**) فلم تذكر هذه الكلمة فى سورة الأعراف، ومن ثم لم تقابل بصيغة المبالغة (**سحار**) فى وصف السحرة، فكأن الملأ فى هذا الموضع لم يتصور أن ما جاء به موسى - وهو ما وصفوه بكونه سحرا - يكون له من القوة والتأثير أن يخرجهم من أرضهم، فمن ثم لا يحتاج إبطال سحره إلى الإتيان بمهرة السحرة. أما فى سورة الشعراء فإن الكلام فيها على لسان فرعون - لا الملأ - وهو يؤكد لهم أن معجزة موسى - عليه السلام - والتى سماها فرعون سحرا - تبلغ من القوة

والتأثير أن يخرجهم موسى من أرضهم بها.ومن ثم بالغوا له فى وصف السحرة الذين يؤتى بهم لإبطال معجزة موسى عليه السلام.ويمكن أن يقال إنه لما كان الواصف لموسى عليه السلام فى هذا الموضع بالسحر هو فرعون؛ لذا "جاءوا بكلمة الإحاطة وبصيغة المبالغة ليطيبوا قلبه، وليسكنوا بعض قلقه"(١٠).

التنويع في صيغ المصدر: بين(الحياة - الحيوان)

فمن ذلك ما جاء فى قوله تعالى: ﴿وَمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ ۚ وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٦٤﴾﴾ (العنكبوت: ٦٤).

حيث جاء اختيار المصدر **(الحياة)** للتعبير عن الحياة فى الدنيا ،وجاء اختيار المصدر **(الحَيَوَانُ) على** صيغة **(الفعلان)** للتعبير عن الحياة فى الدار الآخرة بما تشتمل عليه من حركة ونشاط وابتهاج وخفة النفس واهتزازها مع دوام ذلك واستمراره وتجدد ألوانه، وذلك فى مقابل الحياة الدنيا - حياة اللهو واللعب - بما تشتمل عليه من انكسار وسأم من رتابة صور الحياة وتكرارها بلا تجدد، مع سرعة انقطاع لذاتها، وزوال نعيمها، وتحول عافيتها.

ولذا قال الزمخشرى "وفى بناء الحيوان زيادة معنى ليس فى بناء الحياة وهى ما فى بناء فعلان من معنى الحركة والاضطراب كالنزوان والنغصان واللهبان وما أشبه ذلك، والحياة حركة كما أن الموت سكون فمجيؤه على بناء دال على معنى الحركة مبالغة فى معنى الحياة ولذلك اختيرت على الحياة فى هذا الموضع المقتضى للمبالغة(١١).

التنويع بين المصدر واسم المرة :

وذلك كما فى قوله تعالى إخبارا عن قوم نوح وتكذيبهم لنبيهم عليه السلام: ﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٦٠﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ لَيْسَ بِى ضَلَٰلَةٌ وَلَٰكِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦١﴾﴾ (الأعراف :٦٠-٦١) ويمكننا أن نلمح بوضوح ذلك العدول فى الآية عن صيغة المصدر (ضلال) إلى صيغة اسم المرة (ضلالة).

وسر هذا العدول يرجع إلى أن الملأ من قوم نوح قد اتهموا نوحا عليه السلام بالضلال اتهاما مؤكدا بإن واللام مبالغا فيه بادعاء رؤيتهم له فى ضلال مبين بما يفيده لفظ الرؤية من اليقين والتثبت ولفظ (فى) من معنى الإحاطة والانغماس فى الضلال، ولفظ (مبين) بصيغة (اسم الفاعل) على ضلال بين واضح ثابت، فناسب ذلك أن يسلك نوح فى نفى هذا الاتهام مسلكا آكد وأبلغ من إثباته فلذا عدل عن صيغة المصدر إلى صيغة اسم المرة وأوقعها نكرة فى سياق النفى لإفادة العموم، واختار حرف الجر الباء لنفى أدنى ملابسة له بالضلالة. فكأنه قال (ليس بى شىء من الضلال) [١٢] أو (ليس بى نوع من الضلال البتة، فكان هذا أبلغ فى عموم السلب) [١٣] وذلك لأن اسم المرة لا يدل إلا على الفعلة الواحدة ونفى الأدنى من نفى الأكثر[١٤] (فيرجع حاصل المعنى ليس بى أقل قليل من الضلال فضلا عن الضلال المبين) [١٥]، ولذا قال الطيبى: (أى ضلالة نزرة) [١٦] ومن ثم أفاد اسم المرة نفى أى نوع من أنواع الضلال، أو نفى أقل القليل منه وهو الأرجح؛ لأن اسم المرة وقع نكرة فى سياق النفى فيعم أدنى وحدة من وحداته الدنيا.

التنويع الأسلوبي بين صيغة (فعل - افتعل)

يأتى التعبير بصيغة افتعل لأغراض ومعان فنية، منها من ذلك ما جاء فى القرآن فى قوله تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ

﴿وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾ (البقرة: ٢٨٦) حيث نلحظ أن الآية اختارت **(كسبت)** على وزن **(فعل)** فى الدلالة على فعل الخير، بينما آثرت**(اكتسبت)** على **(كسبت)** فى الدلالة على فعل الشر، فاختارت صيغة افتعل عل صيغة (فعل) وهذه الصيغة افتعل تأتى لعدة معان، منها مما يناسب السياق: الاجتهاد والطلب والتصرف والمبالغة فى معنى الفعل(١٧).

قال سيبويه "وأما كسب فإنه يقول أصاب، وأما اكتسب فهو التصرف والطلب والاجتهاد بمنزلة الاضطراب"(١٨) ومن ثم فقد عدلت الآية فى التعبير عن الشر إلى الاكتساب للدلالة على التكلف والاجتهاد والتعمل والاضطراب والتصرف لأجل تحصيل المعصية ويناسب ذلك ما فى المعصية من مخالفة للأعراف والفِطَر السليمة، مما يدعو العاصى إلى الاحتيال فيها. قال جماعة من العلماء" افتعل يدل على شدة الكلفة، وفعل السيئة شديد لما يؤول إليه"(١٩) وقال الزمخشرى" فإن قلت لم خص الخير بالكسب والشر بالاكتساب قلت فى الاكتساب اعتمال فلما كان الشر مما تشتهيه النفس وهى منجذبة إليه وأمارة به كانت فى تحصيله أعمل وأجد فجُعلت لذلك مكتسبة فيه ولما لم تكن فى باب الخير كذلك وصفت بما لا دلالة فيه على الاعتمال(٢٠).

فالتفت الزمخشرى هنا إلى ما تدل عليه الصيغة من المبالغة فى الفعل ومناسبة ذلك لغلبة الشر على الطباع، واجتهاد الإنسان فيما فيه هواه، ومضيه قدما فى سبيل الفجور، كما قال تعالى ﴿**بَلْ يُرِيدُ الإِنسَانُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُ**﴾ (القيامة:٥) قال الطبرى" يريد أن يمضى أمامه قدما فى معاصى الله لا يثنيه عنها شىء"(٢١) وقال ابن عطية: وقوله تعالى: ﴿**لَهَا مَا كَسَبَتْ**﴾يريد من الحسنات﴿**وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ**﴾ يريد من السيئات، قاله السدى وجماعة من المفسرين لا خلاف فى ذلك والخواطر ونحوها ليس من كسب الإنسان. وجاءت العبارة فى الحسنات بـ **(لها)** من حيث هى مما يفرح الإنسان بكسبه ويسر بها فتضاف إلى ملكه، وجاءت فى

السيئات بـ (**عليها**) من حيث هى أوزار وأثقال ومتحملات صعبة... وكرر فعل الكسب فخالف بين التصريف حسنا لنمط الكلام. كما قال: ﴿فَمَهِّلِ الْكَافِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًا ﴿١٧﴾﴾ (الطلاق: ١٧) هذا وجه.

والذى يظهر لى فى هذا أن الحسنات هى مما يكسب دون تكلف، إذ كاسبها على جادة أمر الله ورسم شرعه والسيئات تكتسب ببناء المبالغة إذ كسبها يتكلف فى أمرها خرق حجاب نهى الله تعالى ويتخطاه إليها فيحسن فى الآية مجىء التصريفين إحرازا لهذا المعنى[٢٢].

التنويع في الإخبار عن الفعل الماضى بالمستقبل، وعن المستقبل بالماضى :

وذلك فى قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَاهُ إِلَىٰ بَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ كَذَٰلِكَ النُّشُورُ ﴿٩﴾﴾ (فاطر:٩) فالأصل الذى يقتضيه السياق هنا هو (فأثارت) وعدل عنه لغرض بلاغى وعلى هذا ورد قول تأبط شرا:

بـــأنى قـــد لقيـــت الغـــول بـــــسهب كالـــــصحيفة

فأضــــربها بـــلا دهـــش صـــــريعا لليديـــــــن

فأصله: (فضربتها) .

وعليه ورد قوله تعالى أيضا ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَاتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُ عِندَ رَبِّهِ ۗ وَأُحِلَّتْ لَكُمُ الْأَنْعَامُ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ۖ فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ ﴿٣٠﴾ حُنَفَاءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ ﴿٣١﴾﴾ (الحج: ٣١-٣٢) فقال أولا:" خرّ من السماء" بلفظ الماضى، ثم عطف عليه المستقبل لاستحضار صورة خطف الطير إياه وهوى الريح

به[٢٤]. وتقرير الأصل السياقى فيه (فخطفته الطير أو هوت به الريح) وهكذا فى سائر الأمثلة التى عرض لها ابن الأثير.

ثانيا : التنويع الأسلوبي في مجال العدد:

التنويع بين صيغتي الإفراد والجمع :

من الأمثلة البليغة التى تحققت فيها المزاوجة بين صيغتى الإفراد والجمع: قول الله تعالى فى سورة النساء: ﴿تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٣﴾ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٤﴾﴾ (النساء:١٣-١٤) فقد جمع "**خالدين**" فى وصف ثواب الطائعين، وأفرده فى وصف عقاب "**العاصين**"[٢٥] وهنا لا يكاد يشك صاحب الذوق الرفيع أن لإفراد العاصى هنا فيه من معانى الإذلال والتعذيب بالوحشة والانفراد ما فيه.

وقد التفت إلى هذا المعنى العلامة أبو السعود حيث قال "ولعل إيثار الإفراد ههنا نظرا إلى ظاهر اللفظ، واختيار الجمع هناك نظرا إلى المعنى للإيذان بأن الخلود فى دار الثواب بصفة الاجتماع أجلب للأنس كما أن الخلود فى دار العذاب بصفة الانفراد أشد فى استجلاب الوحشة[٢٦]".

وجدير بالذكر أن هذه المزاوجة المذكورة فى هذا الموضع هى طريقة القرآن ونهجه فى التعبير عن عذاب الكافر، ونعيم المتقين، حيث يطرد الإفراد بالنسبة للكافر والجمع بالنسبة للمؤمن للغرض نفسه، وهذا ما نلمحه فى المثال التالى فى قوله تعالى: ﴿إِنَّ شَجَرَتَ الزَّقُّومِ ﴿٤٣﴾ طَعَامُ الْأَثِيمِ ﴿٤٤﴾ كَالْمُهْلِ يَغْلِي فِي الْبُطُونِ ﴿٤٥﴾ كَغَلْيِ الْحَمِيمِ ﴿٤٦﴾ خُذُوهُ فَاعْتِلُوهُ إِلَىٰ سَوَاءِ الْجَحِيمِ ﴿٤٧﴾ ثُمَّ صُبُّوا فَوْقَ رَأْسِهِ مِنْ عَذَابِ الْحَمِيمِ ﴿٤٨﴾﴾ (الدخان: ٤٣-٤٩) حيث نلمح فى هذه الآيات إفراد الأثيم فى مقابل جمع المتقين فى الآيات التالية فى المشهد التالى من السورة نفسها: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ ﴿٥١﴾ فِي

جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٥٢﴾ يَلْبَسُونَ مِن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَقَٰبِلِينَ ﴿٥٣﴾ كَذَٰلِكَ وَزَوَّجْنَٰهُم بِحُورٍ عِينٍ ﴿٥٤﴾ يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَٰكِهَةٍ ءَامِنِينَ ﴿٥٥﴾ (الدخان:٥١-٥٥) وهنا تؤدى صيغة الفرد دورها فى إحداث ذلك التقابل البديع بين انفراد الكافر ومعاناته عذاب الوحشة والوحدة فوق عذاب الجحيم فى مقابل انتناس المؤمن بصحبته ورفاقه فى جنات النعيم، فنرى التقابل بين ذلك العذاب المضاعف، وذلك النعيم المضاعف.وبهذا تؤدى صيغة المفرد فى مثل هذا السياق معنى الوحشة والوحدة ومعاناة ألم الغربة والافتراق.

العدول إلى المفرد

من الدلالات الفنية للعدول إلى المفرد ما جاء فى قوله تعالى فى سورة الجن ﴿وَأَنَّا لَمَسْنَا ٱلسَّمَآءَ فَوَجَدْنَٰهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا ﴿٨﴾ وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَٰعِدَ لِلسَّمْعِ ۖ فَمَن يَسْتَمِعِ ٱلْـَٰٔنَ يَجِدْ لَهُۥ شِهَابًا رَّصَدًا ﴿٩﴾﴾ (الجن:٨-٩) فالحرس والرصد: اسما جمع، ومع ذلك وصف الحرس بالمفرد، وجاء الرصد وصفا لمفرد، قال الزمخشرى:" والحرس اسم مفرد فى معنى الحراس كالخدم فى معنى الخدام ولذلك وصف بشديد ولو ذهب إلى معناه لقيل شِدادا، والرصد مثل الحرس اسم جمع للراصد على معنى ذوى شهاب راصدين بالرجم وهم الملائكة الذين يرجمونهم بالشهب ويمنعونهم من الاستماع ويجوز أن يكون صفة للشهاب بمعنى الراصد أو كقوله ومعى جياعا يعنى يجد شهابا راصداً له ولأجله[٢٧].

وقال الطيبى" وقوله تعالى(شهابا رصدا) نزل الواحد وهو الموصوف منزلة الجمع لوصفه به إظهارا لكمال حفظه وقول الشاعر... "ومعى جياعا" جعل كل مكان من أمكنة المعا بمنزلة (معا) واحد مبالغة فى الجوع[٢٨].

وقد ذهب الزمخشرى وجماعة من المفسرين إلى أن السر فى العدول عن الجمع إلى المفرد فى وصف الحرس أن ذلك جاء رعاية للفظ دون

رعاية المعنى إذ لو روعى المعنى لقال شدادا[٢٩]. والسر فى هذا العدول - فى رأيى - يرجع إلى الرمز والإشارة إلى وحدة هذا الحرس، واجتماع أمرهم، حتى كأنهم حارس واحد، فليس ثمة اختلاف بينهم ولا تفرق، ومن ثم فأى شيطان يحاول استراق السمع توجهوا إليه جميعا فيضربونه ضربة ملك واحد.

وثمّة دلالة أخرى فى العدول إلى (شهاب) وهى التخصيص، حيث إن إفراد الشهاب يدل على أن كل جنى قد أعد له شهاب مختص به لا يعدوه. ويرشح لهذا المعنى لفظة (له)، ومن ثم أعرب بعضهم رصدا مفعولا لأجله.

من أمثلة العدول إلى المفرد كذلك فى القرآن الكريم توحيد النور وإفراده فى مقابل جمع الظلمات مما يمثل نوعا من العدول فى جميع مواضعه فى القرآن، حيث ورد النور مفرداً فى مقابل جمع الظلمات فى أحد عشر موضعا فى كتاب الله تعالى ولم يرد خلاف ذلك فى موضع واحد فمن ذلك ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ ۖ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ﴾ (البقرة: ٢٥٧) وقوله تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ﴾ (الأنعام:١) وقوله تعالى: ﴿الر ۚ كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾ (إبراهيم:١).

ففى هذه الأمثلة كلها جاءت الظلمات مجموعة ثم عدل عن هذا الجمع بإفراد النور، ويتجلى هذا العدول فى أوضح صوره فى قوله تعالى: ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ ﴿١٩﴾ وَلَا الظُّلُمَاتُ وَلَا النُّورُ ﴿٢٠﴾ وَلَا الظِّلُّ وَلَا الْحَرُورُ ﴿٢١﴾ وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ﴾ (فاطر: ١٩-٢٢) ففى هذا الموضع يتضح للقارىء والسامع مخالفة قاعدة السياق المطردة فى الجمع بين الصيغ المتناسقة إفرادا وجمعا، ومن ثم تبدو نعمة هذا العدول متميزة تنادى بالالتفات إلى

سر تلك المخالفة، وذلك العدول. ويسهل على المتدبر لهذا العدول معرفة سره والوقوف عليه، وهو وحدة سبيل النور والإيمان، وتشعب كل السبل دونه وتفرقها ومن ثم أفرد صراط الله المستقيم فى مقابل سبل الضلال، فى قوله تعالى ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ﴾ (الأنعام:١٥٣) قال أبو حيان" جمعت الظلمات لاختلاف الضلالات، ووحد النور لأن الإيمان واحد[٣٠].

" وقال الألوسى" أفرد النور لوحدة الحق، كما أن جمع الظلمات لتعدد فنون الضلال"[٣١]

وقال ابن القيم" والمقصود أن طريق الحق واحد، إذ مرده إلى الله الملك الحق، وطرق الباطل متشعبة متعددة فإنها لا ترجع إلى شىء موجود، ولا غاية لها توصل إليها، بل هى بمنزلة ثنيات الطريق، وطريق الحق بمنزلة الطريق الموصل إلى المقصود. فهى وإن تنوعت فأصلها طريق واحد، لما كانت الظلمة بمنزلة طريق الباطل، والنور بمنزلة طريق الحق، بل هى أفرد النور وجمعت الظلمات[٣٢].

ويلمح الألوسى وجها فى إفراد النور وجمع الظلمات، وهو الإيماء إلى قلة أتباع الحق، وكثرة أتباع الباطل، حيث ردد كلامه بين القول السابق" أو أن الأول(أى النور) إيماء إلى القلة والثانى (أى الظلمات) إلى الكثرة[٣٣].

وهذا الذى ذكره غير معارض للقول الأول فأتباع الحق قليلون كما يقرره كتاب الله تعالى فى مواضع عديدة.

ومن مواضع العدول إلى المفرد لتحقيق غرض بلاغى، ما جاء فى القرآن الكريم من إفراد لفظ النعمة فى سياقات عديدة، أريد التعبير فيها عن كثرة النعم؛ ومع ذلك فقد جاءت الصيغة مفردة فى تلك المواضع؛

حتى بلغ عددها سبعة وأربعين موضعا، ولم ترد مجموعة إلا فى مواضع ثلاثة.

ومما يتعلق بذلك :

العدول عن صيغة جمع الكثرة إلى جمع القلة

وذلك في قوله تعالى: ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ﴿١١٢﴾﴾ (النحل:١١٢) فعلى الرغم من كثرة نعم الله التى كفرت بها تلك القرية فقد عدلت الآية عن التعبير بجمع الكثرة(نعم) إلى جمع القلة(أنعم) لغرض بلاغى يكشف عنه العلامة أبو السعود حيث يقول"وإيثار جمع القلة للإيذان بأن كفران نعمة قليلة حيث أوجب هذا العذاب، فما ظنك بكفران نعم كثيرة" (٣٤)

هذا الذى نبه عليه العلامة أبو السعود هو ما يناسب مقام التخويف لهؤلاء الكافرين الجاحدين لنعم الله تعالى عليهم، ولهذه الطريقة نظائر فى كتاب الله تعالى فمنها فى غير جانب الصيغ قول إبراهيم عليه السلام لأبيه وهو فى مقام تخويفه عذاب الله تعالى له: ﴿يَٰٓأَبَتِ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَٰنِ وَلِيًّا ﴿٤٥﴾﴾ (مريم:٤٥) حيث عبر بـ (يمسك) بدلا من يصيبك، وبـ(الرحمن) بدلا من (الجبار) كأنه يخوفه العذاب الأدنى لو عامله الله برحمته، فكيف لو عامله بشدته وجبروته. وعلى هذا النحو جاء التخويف فى الآية السابقة من جحد قليل النعم فضلا عن كثيرها، وهذا أشد مبالغة فى التخويف.

ويتعلق به كذلك :

العدول عن صيغة جمع القلة إلى جمع الكثرة

من أمثلة ذلك فى القرآن قوله تعالى: ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّا۟ئَةُ حَبَّةٍ ۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦١﴾﴾ (البقرة:٢٦١) حيث كان الأصل أن توصف السبع بجمع القلة سنبلات كما قال الله تعالى فى سورة يوسف ﴿وَسَبْعَ سُنۢبُلَٰتٍ خُضْرٍ﴾ (يوسف:٤٣) إلا أن الآية هنا قد عدلت عن القلة المناسبة للسبع إلى الكثرة لغرض بلاغى لا للاتساع فى اللغة أو لتعاور الأبنية كما ذهب إليه الزمخشرى فيما نرى.

وهذا الغرض البلاغى فيما نرى إنما هو مناسبة سياق الآيات الدال على التكثير والمباركة من الله تعالى لهذه الصدقة، وإلا فقد استغرب التمثيل بسنبلة تنبت مائة حبة واستشكلوا إمكان وقوع ذلك.

والمقصود أنه مقام تكثير وبركة من الله تعالى، وجزاء واسع غير محدود ولذا ذيلت الآية بقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦١﴾﴾ فهى" زيادة لا تقدر ولا تحصر، فذلك العدد لا مفهوم له".

ثالثا : التنويع الأسلوبي في مجال الضمائر:

وقوله تعالى : ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥﴾ [الفاتحة:٥]. فيه ما يعرف في البلاغة بالالتفات[٣٥]

وذلك أن الخطاب في سورة الفاتحة قد بدأ بصيغة الغائب ثم تحول إلى الخطاب ؛ حيث جاء الحديث عنه سبحانه بصيغة الغائب ؛ فقيل : الحمد لله على أنه غائب عن العبد، ولم يقل الحمد لك يا رب على الخطاب ، واستمر على ذلك في الآيات بعدها على الغيبة ، ثم التفت أي انتقل إلى صيغة أخرى هي صيغة الخطاب ، فقال: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥﴾ [الفاتحة:٥]

والسر في ذلك هو مراعاة حال العبد ؛ حيث يكون غافلا في أول القراءة فكأن الله غائب عنه – بالنسبة له ، وهو لا يزال يتعرف عليه شيئا

فشيئا ، فيقرأ : ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢﴾ فيعرفه بربوبيته العامة الشاملة لجميع خلقه ، ثم يقرأ : ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣﴾، فيعرفه برحمته العامة والخاصة في الدنيا والآخرة ، ثم يقرأ : ﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ۝٤﴾، فيعرف أن إليه المرجع والمصير ،وبيده الجزاء وحده ، فيتعلق قلبه به رغبة ورهبة ، فلا يملك إلا أن يتوجه إليه مخاطبا إياه مقرا بعبوديته ووحدانيته مفردا إياه بالاستعانة حيث لا ملجأ منه إلا إليه ؛ فيقول داعيا إياه: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ۝٧﴾

وفي قوله : ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥﴾

وفي اختيار الضمائر الدالة على الجمع في : نعبد ، واهدنا : لمحة تدل على قيمة الجماعة ، وهضم الذات أمام الملك ، وأن العبد لا يغتر بسعيه ، بل يتوجه إلى مولاه مستشفعا بمن هو معهم من زمرة الصالحين – لا سيما إن كان في صلاة الجماعة .

ومما جاء من التنويع في الضمائر كذلك قوله تعالى: ﴿قَالُوا۟ يَٰهُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِىٓ ءَالِهَتِنَا عَن قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ۝٥٣ إِن نَّقُولُ إِلَّا ٱعْتَرَىٰكَ بَعْضُ ءَالِهَتِنَا بِسُوٓءٍ ۗ قَالَ إِنِّىٓ أُشْهِدُ ٱللَّهَ وَٱشْهَدُوٓا۟ أَنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ۝٥٤﴾ [هود:٥٤]؛ فإنه إنما قال" أشهد الله واشهدوا" ولم يقل وأشهدكم ليكون موازنا له لأن إشهاده الله على البراءة من الشرك صحيح ثابت، وأما إشهادهم فما هو إلا تهاون بهم، ودلالة على قلة المبالاة بأمرهم، ولذلك عدل به عن لفظ الأول لاختلاف ما بينهما، وجيء به على لفظ الأمر كما يقول الرجل لمن يبس الثرى بينه وبينه:" اشهد على أنى أحبك" تهكما به واستهانة بحاله[٣٦]

فالعدول هنا فى كلام ابن الأثير قد وظف توظيفا صحيحا لأنه عدول عن الأصل السياقى؛ وذلك لأن السياق يقتضى (وأشهدكم) بصيغة

المضارع إلا أنه قد عدل عن هذا الأصل السياقى للنكتة التى بينها ابن الأثير.

رابعا : التنويع الأسلوبي في مجال الأدوات:

التنويع في حروف التوكيد :

من ذلك قوله عز وجل: ﴿وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ ﴿١٣﴾ إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوا إِنَّا إِلَيْكُم مُّرْسَلُونَ ﴿١٤﴾ مَا أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَمَا أَنزَلَ الرَّحْمَٰنُ مِن شَيْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ ﴿١٥﴾ قَالُوا رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّا إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ ﴿١٦﴾﴾

فإن هؤلاء الرسل حين ووجهوا بتكذيب أصحاب القرية لهم قالوا: **(إنا إليكم مرسلون)** وهو أسلوب خبرى فيه من وسائل التوكيد (إن) واسمية الجملة، فلما بالغ أصحاب القرية فى التكذيب، ولجُّوا فى الإنكار كرر عليهم الرسل الخبر الأول مضافاً إليه ألواناً جديدة من التوكيد حيث قالوا: ﴿رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّا إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ ﴿١٦﴾﴾ فجاء الأسلوب كما ترى مؤكدا بالقسم فى صدره و(إن) واللام واسمية الجملة، فضلاً عن التكرار الذى هو فى حد ذاته وسيلة أخرى من وسائل التوكيد.

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ إِنَّكُم بَعْدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ ﴿١٦﴾﴾ أكد إثبات الموت تأكيدين – وإن كان مما لا ينكر – لتنزيل المخاطبين منزلة من يبالغ فى إنكار الموت، لتماديهم فى الغفلة، والإعراض عن العمل لما بعده، ولهذا قيل "ميتون" دون "تموتون" ...وأكد إثبات البعث تأكيداً واحداً – وإن كان مما ينكر– لأنه لما كانت أدلته ظاهرة كان جديراً بأن ينكر، بل إما يعترف به أو يتردد فيه، فنزل المخاطبين منزلة المترددين، تنبيهاً لهم على ظهور أدلته، وحثاً على النظرة فيها، ولهذا جاء "تبعثون" على الأصل" وينقل الطيبى ذلك الكلام السابق للقزوينى فى التبيان مع تصرف يسير فيه، ثم يتبعه بقوله: هذا

والذى يقتضيه النظم الأنيق، وتكرير كلمة التراخى فى الرتبة المستدعية للترقى فى الأطوار من لدن قوله: ﴿ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ﴾ إلى قوله: ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ ﴿١٦﴾﴾ أن تحمل إن على مجرد التوكيد بسطاً، فعل المؤمن فى جؤاره: (ربنا آمنا) ولما كان الموت هو الوسيلة إلى الوصول إلى نهاية المطالب، وكان مستدعياً لتفكيك ذلك التركيب العجيب الذى من حقه أن يصان منه بقوله: (﴿فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ﴿١٤﴾﴾ أكد ذلك التوكيد،وضم مع كلمة التراخى لفظة بعد ذلك.

وكذلك فى قول المنافقين: ﴿إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ ﴿١٤﴾﴾ الزمخشرى فى قوله تعالى: ﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ ﴿١٤﴾﴾فإن قلت: لم كانت مخاطبتهم المؤمنين بالجملة الفعلية، وشياطينهم بالاسمية محققة بإن؟ قلت: ليس ما خاطبوا به المؤمنين جديراً بأقوى الكلامين وأوكدهما لأنهما فى ادعاء حدوث الإيمان منهم ونشئه من قبلهم لا فى ادعاء أنهم أوحديون فى الإيمان غير مشقوق فيه غبارهم، وذلك إما لأن أنفسهم لا تساعدهم عليه إذ ليس لهم من عقائدهم باعث ومحرك، وهكذا كل قول لم يصدر عن أريحية وصدق رغبة واعتقاد، وإما لأنه لا يروج عنهم لو قالوه على لفظ التوكيد والمبالغة، وكيف يقولونه ويطمعون فى رواجه بين ظهرانى المهاجرين والأنصار والذين مثلهم فى التوراة والإنجيل، ألا ترى إلى حكاية الله قول المؤمنين: "**ربنا إننا آمنا**"، وأما مخاطبة إخوانهم فهم فيما أخبروا به عن أنفسهم من الثبات على اليهودية والقرار على اعتقاد الكفر، والبعد من أن ينزلوا عنه على صدق ورغبة ووفور نشاط وارتياح للتكلم به، وما قالوه من ذلك فهو رائج عندهم متقبل منهم فكان مظنة للتحقيق ومئنة للتوكيد".

وعلق الطيبى على قول الزمخشرى السابق فى حاشيته على الكشاف فقال: "قوله: ألا ترى إلى حكاية الله قول المؤمنين: ربنا إننا آمنا استئناف، وحاصله أن معنى التوكيد الذى تعطيه (إن) هاهنا ليس راجعاً

إلى المخاطب فى إزالة تردده أو نفى شكه بل إلى المتكلم فى إظهار نشاطه، ووفور ارتياحه إيذاناً بأن المقام خليق بالإطناب، وإبداء ارتياحه ونشاطه وإعلاماً بأن السامع يتلقاه بالقبول ويصغى إليه".

وفى قوله تعالى: ﴿قَالَ إِنِّي لَيَحْزُنُنِي أَن تَذْهَبُوا بِهِ وَأَخَافُ أَن يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ وَأَنتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ ﴿١٣﴾﴾ (يوسف: ١٣)

ذكر يعقوب –عليه السلام- سببين يمنعانه من إرسال أخيهم معهم؛ حزنه لفراقه، وخوفه عليه من أكل الذئب له، وكأنه لا يُسلِّم لهم بالسبب الذى ذكروه؛ وهو أنه لا يأمنهم عليه، وإن كان لم ينكر ذلك صراحة؛ فحاله حال نبى يريد ألا يكذب، ويريد فى الوقت ذاته أن يصرفهم بلطف عما ذهبوا إليه؛ فعدد لهم ما يدفعه إلى منعه عنهم. وهو بالطبع قد راعى حالهم؛ فلم يصارحهم بالسبب الرئيسى، محاولاً التخفيف من تأجج نار الحقد والغل والحسد ليوسف عليه السلام، ولكن جاء الكلام مع ذلك دالاً على حاله كاشفًا عنه.

فالتوكيد فى قوله: **"إنى ليحزننى"** توكيد بإن واللام ليس مقصودًا به المخاطب بلا شك، فأبناؤه متيقنون من شدة محبته ليوسف وأنه لا يصبر على فراقه طرفة عين، ولولا ذلك لما أقدموا على ما هم مقدمون عليه، ورعاية حال المخاطب تقتضى من هذا النبى الحكيم ألا يؤكد ذلك الأمر وألا يظهره لأبنائه لكيلا يزيد اشتعال الحقد فى قلوبهم، ولا يزكى نار العداوة فيها، ولكن جاء هذا التوكيد فلتة من فلتات لسانه كتعبير شعور تلقائى يفيض به قلبه الذى يكاد ينفطر لمجرد تصور الفراق ولو لساعة يسيرة، فيأتى هذا الكلام المؤكد بأكثر من وسيلة من وسائل التوكيد كاشفًا عن تلك الحال ومبينًا لها أتم التبيين.

ويدل لذلك أيضًا تعبيره بالفعل دون الاسم فعبر بـ**"أن تذهبوا به"** بدلاً من **"ذهابكم به"** فأتى الكلام كاشفًا عن حال المتكلم بذلك، وهو أن

الحزن المؤكد يلم به لمجرد وجود فعل الذهاب ومجرد تصور الحدث، بله ما تحدثه نفسه به –وهو صاحب النفس الملهمة- من ذهاب بلا رجعة مريبة، فلذلك جاء التعبير بالفعل الدال على مجرد الحدث دون الاسم الدال على الثبوت والدوام.

التنويع بين حروف الجر:

وذلك كما فى قوله تعالى إخبارا عن قوم نوح وتكذيبهم لنبيهم عليه السلام: ﴿**قَالَ المَلأُ مِن قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي ضَلالٍ مُّبِينٍ * قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي ضَلالَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ العَالَمِينَ** ﴾ (الأعراف :٦٠-٦١) ويمكننا أن نلمح بوضوح ذلك التنويع فى الآية بين الحرف (في) وحرف (الباء).ومعلوم أن(في) تفيد الظرفية والانغماس بالكلية في الشيء أما الباء فهي تأتي للملابسة.

وسر هذا التنويع يرجع إلى أن الملأ من قوم نوح قد اتهموا نوحا عليه السلام بالضلال اتهاما مؤكدا بإن واللام مبالغا فيه بادعاء رؤيتهم له فى ضلال مبين بما يفيده لفظ الرؤية من اليقين والتثبت ولفظ (فى) من معنى الإحاطة والانغماس فى الضلال، ولفظ (مبين) بصيغة (اسم الفاعل) على ضلال بين واضح ثابت، فناسب ذلك أن يسلك نوح فى نفى هذا الاتهام مسلكا آكد وأبلغ من إثباته فلذا عدل عن صيغة المصدر إلى صيغة اسم المرة وأوقعتها نكرة فى سياق النفى لإفادة العموم، واختار حرف الجر الباء لنفى أدنى ملابسة له بالضلالة. فكأنه قال (ليس بى شىء من الضلال) [٣٧] أو (ليس بى نوع من الضلال ألبتة، فكان هذا أبلغ فى عموم السلب) [٣٨].

ومن ذلك التعبير بـ(فى) بدلا من (على) في قوله تعالى : " لأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ"(طـه:٧١) لتتأمل الجمال في التعبير ب (في) الدالة على

الظرفية لما تعطيه هنا من الدلالة على تمام الإيثاق ،وإحكام القيد ، ومن ثم شدّة التعذيب.

فالآية قد ضمنت الفعل (لأصَلِّبَنَّكُمْ) معنى (لأجعلنَكُمْ) فجمعت لنا معنى الفعلين معا في فعل واحد عن طريق النيابة في الحرف.

ومثل هذا يعرف بظاهرة التضمين ،ويجري على التضمين بهذه الدلالة كثير من أفعال القرآن الكريم . ومن ذلك قوله تعالى :﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَائِكُمْ﴾ (البقرة :١٨٧)

يقول الدكتور : محمد نديم فاضل :"فتضمين الرفث وهو مقدمات المباشرة أو المباشرة ذاتها معنى الإفضاء ، والمتعدى بـ " إلى " ، يمنح العلاقة بين الزوجين لمسة إنسانية تترفع بها عن عالم الحيوان ، لمسة حانية ، فيها من الرفق والنداوة والشفافية مثلما فيها من سمو المشاعر ، وتحسر (إلى) هذه عن مسافر وجهها الجميل لتحكي ما اشتملت عليه المشاعر حين جمعت الرفث إلى الإفضاء فيما أحل الله للزوجين في شهر الصيام لتنأى بهما عن عرام الجسد ، والحبس في الرغبات المكبوتة في اللحم والدم بعد أن تستتبع خلفها معنى الستر يتدثر به كل من الزوجين ، وتتصل بأفق أرفع من الأرض وبغاية أسمى من اللذة ، ترقّ وترْقى إلى معارج عليا .... وحَسبُ التضمين أنه جعل في لفظ الرفث نداوة يخضرّ بها ، ويرمي ظلاله ، ولمسة رفافة تنأى عن عرام الجسد تبتغي الإعفاف والإنجاب ، وتوقظ معنى الستر في هذا الحرف " إلى " ، فجمع من صنوف البيان ما ذاع صيته على كل لسان"[٣٩]

يقول ابن جني :" اعلم أن الفعل إذا كان بمعنى فعل آخر، وكان أحدهما يتعدى بحرف، والآخر بآخر فإن العرب قد تتسع فتوقع أحد الحرفين موقع صاحبه إيذاناً بأن هذا الفعل في معنى ذلك الآخر، فلذلك جيء معه بالحرف المعتاد مع ما هو في معناه. وذلك كقول الله عز اسمه:

﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَائِكُمْ﴾ (البقرة :١٨٧) وأنت لا تقول: رفثت إلى المرأة وإنما تقول: رفثت بها، أو معها؛ لكنه لما كان الرفث هنا في معنى الإفضاء؛ وكنت تعدي أفضيت بإلى كقولك: أفضيت إلى المرأة، جئت بإلى مع الرفث؛ إيذاناً وإشعاراً أنه بمعناه... (٤٠) "

خامسا : التنويع الأسلوبي في مجال البناء النحوي:

نماذج التقديم والتأخير في متشابه القرآن :

فمما ورد من ذلك في كتاب الله : قوله تعالى:﴿وَجَاءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ قَالَ يَا مُوسَىٰ إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ ﴿٢٠﴾﴾ **(القصص: ٢٠)**

مع قوله تعالى: ﴿وَجَاءَ مِنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَىٰ قَالَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ ﴿٢٠﴾﴾ **(يس: ٢٠)**

وقد أجاب الإسكافي عن سبب هذا التقديم والتأخير فقال: " إن الفاعل في الموضعين لما كان نكرة فالمعنى : جاء جاءٍ ، وقد دل الفعل على جاءٍ ،ولا يكون الجائي من أقصى المدينة في الأعم الأغلب إلا رجلا ، وكان الذي يفيد المخاطب أن يعلم أنه جاء من مكان بعيد إلى مجتمع الناس في القرية ، وحيث لا يقرب من محاري القصة ، ولا يحضر موضع الدعوة ، ومشهد المعجزة ، فقدم ما تبكيت القوم به أعظم ، والتعجب منه أكثر؛ فقال: ﴿وَجَاءَ مِنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ رَجُلٌ﴾ ينصح لهم ما لا ينصحون مثله لأنفسهم، ولا ينصح لهم أقربوهم مع أنه لم يحضر جميع ما يحضرونه ، ولم يشاهد من كلام الأنبياء ما يشاهدونه، فبعثهم على اتباع الرسل المبعوثين إليهم، وقبول ما يأتون به من عند مرسلهم.

وأما الآية الأولى من سورة القصص فإن المراد: جاء من لا يعرفه موسى من مكان لم يكن مجاورا لمكانه فأعلمه ما فيه الكفار من ائتمارهم به، فاستوى حكم الفاعل والمكان الذي جاء منه، فقدم ما أصله التقديم، وهو الفاعل؛ إذ لم يكن هنا تبكيت القوم بكونه من أقصى المدينة كما كان ذلك في الآية المتقدمة[٤١]."

علَّل الإسكافي تقدم الجار والمجرور في سورة يس بأهمية إبراز البعد المكاني ،ولعله يلمح إلى بيان أثر هذا البعد قي إظهار المفارقة بين من يسعى لإجابة الرسل من أقصى المدينة ، وبين من أعرضوا عن دعوة الرسل الذين أتوهم في ديارهم ومحالّهم دون كلفة عليهم ولا عناء ،ونلاحظ أن الإسكافي قد علَّل هنا للآية التي تقدَّم فيها الجار والمجرور على الفاعل الذي هو ركن الجملة ، أي اكتفى بالتعليل لما خرج عن الأصل ،ولم ير داعيا لتعليل ما وافق الأصل ، وهو آية القصص التي تقدم فيها الفاعل .

أما ابن جماعة فقد ألمح إلى فائدة أخرى في تقديم الجار والمجرور – من أقصى المدينة - وهي انتفاء التواطؤ بينه وبين الرسل ، أما الآية الأخرى فلم يعلل لتقدم الفاعل فيها باعتباره "جاء على الأصل في تقديم الفاعل على المفعول الفضلة[٤٢] "

وبنحو التعليل السابق لتقدم الجار والمجرور جاء كلام الألوسي موضّحا ما ألمح إليه الإسكافي من المفارقة التي أشرنا إليها ؛ فقال :"وجاء { مِنْ أَقْصَى المدينة }هنا مقدماً على { رَجُل} عكس ما جاء في القصص ،وجعله أبو حيان من التفنن في البلاغة .

وقال الخفاجي : قدم الجار والمجرور على الفاعل الذي حقه التقديم بياناً لفضله إذ هداه الله تعالى مع بعده عنهم ،وإن بعده لم يمنعه عن ذلك ولذا عبر بالمدينة هنا بعد التعبير بالقرية إشارة إلى السعة وإن الله تعالى

يهدي من يشاء سواء قرب أو بعد ، وقيل قدم للاهتمام حيث تضمن الإشارة إلى أن إنذارهم قد بلغ أقصى المدينة فيشعر بأنهم أتوا بالبلاغ المبين[٤٣]."

وقد زاد الطاهر بن عاشور فائدة أخرى لذلك التقديم للجار والمجرور ، واكتفى بالتعليل بموافقة الأصل في آية القصص فقال:"وفائدة ذكر أنه جاء من أقصى المدينة الإشارة إلى أن الإيمان بالله ظهر في أهل ربض المدينة قبل ظهوره في قلب المدينة ؛لأن قلب المدينة هو مسكن حكامها وأحبار اليهود وهم أبعد عن الإنصاف والنظر في صحة ما يدعوهم إليه الرسل ، وعامة سكانها تبع لعظمائها لتعلقهم بهم وخشيتهم بأسهم بخلاف سكان أطراف المدينة فهم أقرب إلى الاستقلال بالنظر وقلة اكتراثٍ بالآخرين لأن سكان الأطراف غالبهم عملة أنفسهم لقربهم من البدو .

وبهذا يظهر وجه تقديم { من أقصى المدينة } على { رجل } للاهتمام بالثناء على أهل أقصى المدينة . وأنه قد يوجد الخير في الأطراف ما لا يوجد في الوسط ، وأن الإيمان يسبق إليه الضعفاء لأنهم لا يصدهم عن الحق ما فيه أهل السيادة من ترف وعظمة إذ المعتاد أنهم يسكنون وسط المدينة ..وأما قوله تعالى في سورة القصص (٢٠) { وجاء رجل من أقصى المدينة يسعى } فجاء النظم على الترتيب الأصلي إذ لا داعي إلى التقديم إذ كان ذلك الرجل ناصحاً ولم يكن داعياً للإيمان." [٤٤]

وقد وافق الكرماني الإسكافي في تعليله لآية يس بما لا يخرج عن مضمون كلامه ثم اجتهد لتعليل التقديم الموافق للأصل معوِّلا على مراعاة النظير السابق في السياق فقال :" خصت هذه السورة – القصص - بالتقديم لقوله قبله :(فوجد فيها رجلين يقتتلان) ثم قال (وجاء رجل) ،وخصت سورة يس بقوله :(وجاء من أقصى المدينة) لما جاء في التفسير أنه كان يعبد الله في جبل فلما سمع خبر الرسل سعى مستعجلا [٤٥]."

والحق أن التعليل بموافقة الأصل حسب ما ذهب إليه الكرماني والطاهر بن عاشور وغيرهما غير كاف ؛ وذلك لاتساع الاختيار بين موافقته أو الخروج عنه ، فالحق أن كلا الأمرين – موافقة الأصل ، والخروج عنه – بحاجة إلى التعليل من الناحية البلاغية الفنية ؛ وذلك لأننا بصدد البحث عن أسرار الجمال القرآني ، ولسنا بصدد البحث عن موافقة الأصل أو القاعدة اللغوية .

كما أن التعليل – الذي ذهب إليه الكرماني بمراعاة النظير بأن يقال : إنه قال :(رجل) ليوافق (رجلين) غير مقبول ؛ وذلك لأنه يصلح أن يكون بيانا لعلة تكرر اللفظ ، لا بيانا لعلة التقديم ؛ وذلك لأن الآية الأخرى – آية يس - قد ورد فيها لفظ (رجل) مؤخرا ولم يسبقه في السياق لفظ (رجل) ولا (رجلين).

ومن ثم فلا بد من البحث عن علة أخرى غير ما ذكرا – أقصد الإسكافي والكرماني- ولعل تلك العلة هي ما ألمح إليها كلام ابن كثير ، وإن كان لم يشبعها بالتعليل والإيضاح الكافي ؛ حيث قال : "قَالَ تَعَالَى : " وجَاءَ رَجُل " وَصَفَهُ بِالرُّجُولِيَّةِ لِأَنَّهُ خَالَفَ الطَّرِيق فَسَلَكَ طَرِيقًا أَقْرَب مِنْ طَرِيق الَّذِينَ بُعِثُوا وَرَاءَهُ فَسَبَقَ إِلَى مُوسَى فَقَالَ لَهُ يَا مُوسَى " إِنَّ الْمَلَأ يَأْتَمِرُونَ بِك " أَيْ يَتَشَاوَرُونَ فِيك" لِيَقْتُلُوك فَاخْرُجْ " أَيْ مِنْ الْبَلَد " إِنِّي لَك مِنْ النَّاصِحِينَ"(٤٦).

والحق ما ألمح إليه كلام ابن كثير في هذا الموضع الذي جاء على الأصل من أن علّة التقديم ترجع – فضلا عن موافقة الأصل – إلى إبراز صفة الرجولية في هذا الرجل ؛ وقد علل تلك الرجولية بأمور يمكننا أن نستشفها من إشارته السابقة ، وهي:

- ذكاؤه بمخالفة الطريق المرصود لكيلا يدركه الرصد فيحول بينه ، وبين الوصول لنبي الله ﷺ لنذارته وتحذيره وإعلامه بكيد قوم فرعون له.

- سلوكه الطريق الأقرب ليسرع إلى موسى قبل أن يصل إليه خطر.

- سبقه إلى موسى ﷺ وتمكنه من الوصول إليه قبل أن يحدق به خطر أعدائه ؛ فأنقذه بذلك من القتل.

- إفشاؤه تآمر الملأ من قوم فرعون بقتل موسى لموسى ﷺ غير مبال ببطش فرعون وأذاه وعقوبته له التي لا تقلُّ عن القتل والعذاب الشديد إن هو علم بأمره .

- إخلاصه النصح لموسى ﷺ راجيا ثواب الله ورضوانه ، كما يظهر من قوله له يَا مُوسَى " إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِك " أَيْ يَتَشَاوَرُونَ فِيك" لِيَقْتُلُوك فَاخْرُجْ " أَيْ مِنْ الْبَلَد :" إنِّي لَك مِنْ النَّاصِحِينَ"

تقديم بعض الجمل المعطوفة بعضهاعلى بعض :

قال تعالى: ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا لَّا تَجْزِي نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٤٨﴾﴾ (البقرة : ٤٨)

وقال : ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا لَّا تَجْزِي نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا تَنفَعُهَا شَفَاعَةٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٤٨﴾﴾ (البقرة :١٢٣)

نلاحظ هنا تشابه الآيتين في أغلب ألفاظهما مع اختلافهما بالتقديم والتأخير في الجمل التي وقعت نعوتا لذلك اليوم .

وذلك أن "(يوما) مفعول به ، وجملة "لا تجزي نفس" نعت لـ "يوم"، والأصل: لا تجزي فيه، ثم حُذف. "شيئا": نائب مفعول مطلق، أي: لا تجزي جزاء قليلا ولا كثيرا. جملة "ولا هم ينصرون" معطوفة على جملة "ولا يؤخذ منها عدل" في محل نصب[٤٧]."

وهاتان الآيتان قد وقف عندهما كثير من المفسرين ،وممن صنفوا في متشابه القرآن متسائلين عن سرِّ الاختلاف بينهما بالتقديم والتأخير ؛

حيث قدم جملة النعت النافية لقبول الشفاعة في الآية الأولى على النافية لقبول العدل ، وعكس ذلك في الآية الثانية .

وقد حاول الكرماني الإجابة عن سرّ هذا التقديم والتأخير في الموضعين ؛ فقال في الموضع الأول :"قدم الشفاعة في هذه الآية وأخر العدل، وقدم العدل في الآية الأخرى من هذه السورة وأخر الشفاعة، وإنما قدم الشفاعة قطعا لطمع من زعم أن آباءهم تشفع لهم، وأن الأصنام شفعاؤهم عند الله.

وأخرها في الآية الأخرى ؛لأن التقدير في الآيتين معا لا يقبل منها شفاعة فتنفعها تلك الشفاعة لأن النفع بعد القبول ، وقدم العدل في الآية الأخرى ليكون لفظ القبول مقدما فيها [٤٨]"

ثم عاد للكلام عنهما في الموضع الثاني فقال :"هذه الآية والتي قبلها متكررتان وإنما كررت لأن كل واحدة منهما صادفت معصية تقتضي تنبيها ووعظا ؛لأن كل واحدة وقعت في غير وقت الأخرى والمعصية الأولى "أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم"(البقرة : ٤٤) والثانية: "ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم"[٤٩] (البقرة: ١٢٠)

والحق أن كلام الكرماني – في الموضعين ليس كلُّه مقنعا ؛ فلئن قبلنا كلامه في أنه:" إنما قدم الشفاعة قطعا لطمع من زعم أن آباءهم تشفع لهم ، وأن الأصنام شفعاؤهم عند الله" – أقول إن قبلنا ذلك – فإنا لا نقبل تعليله لتأخير الشفاعة في الآية الأخرى .

فقوله :" قدم العدل في الآية الأخرى ليكون لفظ القبول مقدما فيها" غير مقبول ؛ لأنه لا تلازم بين ذكر العدل والقبول بدليل أنه جاء في الآية الأخرى ﴿وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ﴾؛ فضلا عن ذلك إن قلنا :(إن العدل والقبول

متلازمان) فقبول العدل لا يلزم منه قبول الشفاعة – حيث يرى أنه قدم قبول العدل لأن الشفاعة لا بد أن يسبقها القبول.

وكذلك إجابته في الموضع الثاني غير مقنعة كذلك ، وهي جعله تكرر الآيتين " لأن كل واحدة منهما صادفت معصية تقتضي تنبيها ووعظا "؛ فهذا الكلام غير مقنع ؛ لأن جرائم بني إسرائيل المسرودة في سورة البقرة بين هاتين الآيتين عديدة يصعب حصرها من تجرؤهم على نبيهم ، واستطالتهم عليه ، وسوء أدبهم معه ، وتلكؤهم في تنفيذ أوامره ، والاستجابة لأمر الله ، مع كثرة سؤالهم وتعنتهم في قصة ذبح البقرة ، وغير ذلك .

أما الرازي فقد جعل "الجواب : أن من كان ميله إلى حبِّ المال أشدَّ من ميله إلى علوِّ النفس فإنه يقدم التمسك بالشافعين على إعطاء الفدية ،ومن كان بالعكس يقدم الفدية على الشفاعة ، ففائدة تغيير الترتيب ، الإشارة إلى هذين الصنفين"(٥٠)

وبنحو هذا أجاب الشيخ زكريا الأنصاري(٥١).

فنزل الآيتين على صنفين من الشافعين ؛ وهذا أحسن من جواب الكرماني السابق .

أما الغرناطي فقد نظر نظرة أعمق في سياق الآيتين فقال:"وجه ذلك والله أعلم انه لما تقدم فى الآية الأولى قوله تعالى:"أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم" والمأمور بالبر قد يأخذ به ويتمسك بموجبه فيسلم من العصيان وتكون فى ذلك نجاته ،واذا أمكن هذا فقد وقع الاهتداء بأمر هؤلاء الذين قيل لهم:"أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم" فهو مظنة عندهم لرجائهم أن ينفع عند مشاهدة الجزاء الإحسانى للمأمورين بالبرِّ حين قبلوْا وامتثلوا أخذاً بظاهر حال الآمرين وان كانوا يبطنون خلاف ما يظهرون(٥٢)."

فهو يوجه بذلك مناسبة تقدم الشفاعة في هذا الموضع بأنه قد سبقها ما يرشح لاتكالهم عليه - في أفهامهم السقيمة ، وهو الأمر بالبرِّ وامتثال الآمرين له – حسب ظاهر الأمر -أما الموضع الثاني فلم يسبقه ما يشير لشيء من ذلك ؛ فلذا لم تقدم الشفاعة فيه

وهذا الكلام لا يبعد كثيرا عما علل به الكرماني ، وإن كان يدل على تعمق صاحبه في سياق الآيات بصورة أكبر.

وقد أجاب الإسكافي عن ترتيب هذه الجمل بكلام جميل نفيس ، رأيت أن أذكره كاملا لنفاسته فقال :"الوجه في الأولى : أنه لما قال : ﴿لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْئًا﴾ بمعنى لا يغني أحد عن أحد فيما يلزمه من العقاب ، ولا يكفر سيآته ما له من الثواب ، وهو كقوله عز من قائل: ﴿وَاخْشَوْا يَوْمًا لَّا يَجْزِي وَالِدٌ عَن وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِ شَيْئًا﴾ (لقمان : ٣٣) ، فهذه الأشياء التي ذكر - في هذه الآية – امتناع وقوعها في الآخرة أربعة أنواع تنفى بها المكاره ، وتتداوى بها الشدائد ألا ترى العرب إذا دفع أحدهم إلى كريهة ، وارتهنت نفسه بعظيمة ، وحاولت أعز ته دفا[illegible] عنه ، وتخلصه [illegible] [illegible] الابيه من مقتضى الحمية ، فذبت عنه كما يذب الوالد عن ولده بغاية قوته وجلده فإن رأى من لا قبل له بممانعته ، ولا يد له بمدافعته عاد بوجوه الضراعة ، وصنوف المسألة والشفاعة ، فحاول بالملاينة ما قصر عنه بالمخاشنة ، فإن لم تغن عنه الحالتان ، ولم تنجه الخلتان من الخشونة واللين لم يبق بعدهما إلا فداء الشيء بمثله ، وفكّه من الأسر بعدله إما بمال وإما بغيره .

فإن لم تغن عنه هذه الثلاثة في العاجلة تعلل بما يرجوه من نصر في الآجلة ....فأخبر الله تعالى أن ما يغني في هذه الدنيا عن المجرمين ، وترتب هذه المراتب بين العالمين ، لا يغني منه شيء في الآخرة عن الظالمين[٥٣]."

ورغم هذا التحليل الرائع لبيان مناسبة الترتيب في الآية الأولى ؛ فإن بيانه لمناسبة اختلاف الترتيب في الآية الثانية لم يكن مقنعا للوقوف على علة الاختلاف بين الآيتين حيث جعل تقديم العدل وتأخير الشفاعة فيه ليفيد أن "معنى : ﴿لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْئًا﴾ لا تغني عنها بفداء ..ويكون بعد ذلك (ولا تنفعها شفاعة)معناه : ولا تخفف مسألة من عذابها ، ولا ينقص شفيع من عقابها[٥٤]."

والحق أن هذا الكلام منه غير مقنع في هذه الآية الثانية ؛لأنه لم يبين لنا ما الذي اقتضى هذه المخالفة في المعنى بين الموضعين مع اتحاد الألفاظ (العدل – الشفاعة") فضلا عن أن ما ذكره في معنى العدل والشفاعة في الآية الثانية ليس مخالفا في الحقيقة لما ذكره من معناهما في الآية الأولى بل هو من مقتضاه ولوازمه.

غير أن أمثل ما رأيته من كلام المصنفين في المتشابه في هاتين الآيتين : كلام ابن جماعة . قال ابن جماعة في جوابه عن سر التقديم والتأخير في الآيتين :"إن الضمير في (منها) راجع في الأولى إلى النفس الأولى ، وفي الثانية راجع إلى النفس الثانية ، كأنه يبين في الآية الأولى أن النفس الشافعة الجازية عن غيرها لا تقبل منها شفاعة، ولا يؤخذ منها عدل ؛ ولأن الشافع يقدم الشفاعة على بذل العدل عنها .

ويبين في الآية الثانية أن النفس المطلوبة بجرمها لا يقبل منها عدل عن نفسها ، ولا تنفعها شفاعة شافع فيها ..؛ فلذلك كله قال في الأولى :(ولا يقبل منها شفاعة) وفي الثانية : (ولا تنفعها شفاعة) ؛ لأن الشفاعة إنما تقبل من الشافع ، وإنما تنفع المشفوع له[٥٥] ."

وهذا - في رأيي – أحسن ما قيل في توجيه متشابه التقديم والتأخير في الآيتين ؛ وذلك أنه بين أن ثمة نفسين : نفسا جازية شافعة ، ونفسا

مأخوذة بجريرتها تبحث عمن يجزي عنها ، أو يشفع لها ،أو يفديها ، أو يحاول نصرها.

وجعل الكلام في الموضع الأول عن النفس الجازية الشافعة ، وفي الموضع الثاني عن النفس المأخوذة بجرمها.

وبيَّن سرَّ التقديم والتأخير في الموضعين وهو ما بين مناسبة التقديم والتأخير لكل موضع مما نيط به ، وكشف في الوقت نفسه عن صحة ما حمل عليه الكلام من معنى النفس في الموضعين .

فبين أن تقديم الشفاعة أنسب في الآية الأولى ؛ حيث الحديث عن النفس الجازية الشافعة "لأن الشافع يقدم الشفاعة على بذل العدل عنها" ؛ وذلك صحيح لأن الشافع يقدم في الشفاعة ماهو أيسر عليه ، وأقل كلفة ، ولا شك أن الشفاعة بالجاه والقول أيسر منها بالعدل وهو الفداء بالمال أو النفس ونحوهما.

وبين في الآية الثانية أن النفس المطلوبة بجرمها لا يقبل منها عدل أي فداء عن نفسها ، ولا تنفعها شفاعة شافع فيها ، فلذلك كله قال في الأولى (ولا يقبل منها شفاعة) وفي الثانية : (ولا تنفعها شفاعة) ؛ لأن الشفاعة إنما تقبل من الشافع ، وإنما تنفع المشفوع له .

لكن بقي أن نقول :إنه مع اختلاف المقصود بالنفس في كل ، وما يعود على كل ؛ فلم يختلف سياق الآيتين بين النفس الجازية ، والنفس المأخوذة بجرمها في قوله (لا تجزي) وقوله : (ولا هم ينصرون) ؛ وذلك لأن كلا من النفسين منفي عنهما ذلك ، وهما فيه سواء في ذلك اليوم ، كلاهما : لا يجزي ، وكلاهما لا ينصر.

ومن ذلك أيضا (من تقديم بعض المفردات المعطوفة بعضها على بعض):

قوله تعالى ﴿وَمَا الْحَيَوٰةُ الدُّنْيَآ إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَلَلدَّارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٣٢﴾﴾ (الأنعام: ٣٢)

وقوله تعالى: ﴿وَذَرِ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَوٰةُ الدُّنْيَا وَذَكِّرْ بِهِۦٓ أَن تُبْسَلَ نَفْسٌۢ بِمَا كَسَبَتْ لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ اللَّهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ وَإِن تَعْدِلْ كُلَّ عَدْلٍ لَّا يُؤْخَذْ مِنْهَآ أُولَٰٓئِكَ الَّذِينَ أُبْسِلُوا بِمَا كَسَبُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ ﴿٧٠﴾﴾ (الأنعام: ٧٠)

وقوله تعالى :﴿إِنَّمَا الْحَيَوٰةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَإِن تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا يُؤْتِكُمْ أُجُورَكُمْ وَلَا يَسْـَٔلْكُمْ أَمْوَٰلَكُمْ ﴿٣٦﴾﴾ (محمد: ٣٦)

وقوله تعالى :﴿اعْلَمُوٓا أَنَّمَا الْحَيَوٰةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌۢ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِى الْأَمْوَٰلِ وَالْأَوْلَٰدِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمًا وَفِى الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَٰنٌ وَمَا الْحَيَوٰةُ الدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ الْغُرُورِ ﴿٢٠﴾﴾ (الحديد: ٢٠)

وقوله تعالى :﴿وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ النَّارِ أَصْحَٰبَ الْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَآءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالُوٓا إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى الْكَٰفِرِينَ ﴿٥٠﴾ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَوٰةُ الدُّنْيَا فَالْيَوْمَ نَنسَىٰهُمْ كَمَا نَسُوا لِقَآءَ يَوْمِهِمْ هَٰذَا وَمَا كَانُوا بِـَٔايَٰتِنَا يَجْحَدُونَ ﴿٥١﴾﴾ (الأعراف ٥١)

وقوله تعالى :"وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلا لَهْوٌ وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ (العنكبوت: ٦٤)

وقد اجتهد المفسرون في بيان سرِّ التقديم والتأخير بين هذه الآيات فقال الرازي :" قال هناك : { إِلاَّ لَعِبٌ وَلَهْوٌ } وقال ههنا : { إِلاَّ لَهْوٌ وَلَعِبٌ } (الأعراف٥١) فنقول لما كان المذكور هناك من قبل الآخرة

وإظهارهم للحسرة ، ففي ذلك الوقت يبعد الاستغراق في الدنيا بل نفس الاشتغال بها فأخر الأبعد ، وأما ههنا لما كان المذكور من قبل الدنيا وهي خداعة تدعو النفوس إلى الإقبال عليها والاستغراق فيها ، اللهم إلا لمانع يمنعه من الاستغراق فيشتغل بها من غير استغراق فيها ، ولعاصم يعصمه فلا يشتغل بها أصلاً ، فكان ههنا الاستغراق أقرب من عدمه فقدم اللهو[٥٦]."

وقد تبعه في ذلك ابن عادل في اللباب ، ولم يزد عليه[٥٧].

وكلامهما في هذا الموضع – إن قبل في هذين الموضعين - غير شامل لكل المواضع.

وقد حاول الطاهر بن عاشور التوجيه البلاغي لهذا التقديم عند آية العنكبوت فقال:"وقد زادت هذه الآية بتوجيه اسم الإشارة إلى الحياة وهي إشارة تحقير وقلة اكتراث كقول قيس بن الخطيم مشيرا إلى الموت :

متى يأت هذا الموت لا يلف حاجة ... لنفسي إلا قد قضيت قضاءها

ولم توجه الإشارة إلى الحياة في سورة الأنعام . ووجه ذلك أن هذه الآية لم يتقدم فيها ما يقتضي تحقير الحياة فجيء باسم الإشارة لإفادة تحقيرها وأما آية سورة الأنعام فتقدم قوله (حتى إذا جاءتهم الساعة بغتة قالوا يا حسرتنا على ما فرطنا فيها) فذكر لهم في تلك الآية ما سيظهر لهم إذا جاءتهم الساعة من ذهاب حياتهم الدنيا سدى .

وأما تقديم ذكر اللهو هنا وذكر اللعب في سورة الأنعام فلأن آية سورة الأنعام لم تشتمل على اسم إشارة يقصد منه تحقير الحياة الدنيا فكان الابتداء بأنها لعب مشيرا إلى تحقيرها لأن اللعب أعرق في قلة الجدوى من اللهو[٥٨]."

وينتقض عليه هذا الكلام بأن آية الأعراف لم تشتمل كذلك على اسم الإشارة ؛ ومع ذلك فلم تبدأ باللهو.

أما الكرماني فقد كان أكثر دقة وشمولية حيث ذهب إلى أنه "إنما قدم اللعب في الأكثر لأن اللعب زمانه الصبا ،واللهو زمانه الشباب ، وزمان الصبا مقدم على زمان الشباب يبينه ما ذكر في الحديد:"اعلموا أنما الحياة الدنيا لعب" كلعب الصبيان ،ولهو كلهو الشبان ،وزينة كزينة النسوان، وتفاخر كتفاخر الإخوان ،وتكاثر كتكاثر السلطان...

وقدم اللهو في الأعراف لأن ذلك في القيامة،فذكر على ترتيب ما انقضى،وبدأ بما به الإنسان انتهى من الحالتين ،وأما العنكبوت فالمراد بذكرها زمان الدنيا،وأنه سريع الانقضاء قليل البقاء وإن الدار الآخرة لهي الحيوان ، أي الحياة التي لا أمد لها ولا نهاية لأبدها ، بدأ بذكر اللهو لأنه في زمان الشباب وهو أكثر من زمان اللعب وهو زمان الصبا[٥٩]."

فالكرماني قد بيَّن سرَّ تقديم اللعب في الجملة بما يشبه مونه الأصل الذي لا يحتاج إلى تبرير ؛وذلك لأن الأصل البدء باللعب ؛ لأنه زمن الصبا ، وهو أسبق من اللهو الذي يكون في زمن الشباب ، واستشهد لذلك بآية الحديد التي رأى أنها قد جاءت مقسمة على أزمان الدنيا و أحوالها.

ثم فسر تقدم اللهو في الأعراف لأن ذلك في القيامة،فذكر على ترتيب ما انقضى ؛ أي فسِّر على آخر عهدهم بالدنيا قبل القيامة ، وهو اللهو الذي أوردهم المهالك.

أما العنكبوت فلما كان المقصد هو مقارنة الدنيا بالآخرة وبيان أنها سريعة الانقضاء قليلة البقاء ، بدأ بذكر اللهو لأنه في زمان الشباب وهو أكثر من زمان اللعب وهو زمان الصبا.

أما الإسكافي فقد اقتصر على موضعين لكل نوع ؛ فذكر في تقدم اللعب آيتي الأنعام والحديد، وفي تقدم اللهو آيتي الأعراف والعنكبوت.

وذهب في تعليل تقدم اللعب في الأنعام بأنه ورد في جماعة من الكفار كانوا يستهزئون بآيات الله ويتخذونها هزوا ولعبا مستشهدا بما ورد

من قوله تعالى: ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ ۚ إِنَّكُمْ إِذًا مِثْلُهُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا ﴿١٤٠﴾﴾ (النساء: ١٤٠)، قال: "فهؤلاء قوم حضروا النبي ﷺ ، وسمعوا القرآن ، وعبثوا عند سماعه ، ولعبوا بآياته ...فهؤلاء لما فعلوا عند سماع القرآن من الاستهزاء والعبث أطلق على فعلهم : اسم اللعب[٦٠]."

وعلل لترتيب آية الحديد بنحو ما علل به الكرماني من بعده.

وعلل لترتيب آية الأعراف في تقديم اللهو بأنها إنما وردت في عامة الكفار "الذين شغلتهم الحياة الدنيا وحلاوتها ، والولاية وغباوتها . واستجلاء ما مرنت عليه طباعها ، وهذا هو اللهو[٦١]."

وذهب في في بيان سرِّ ترتيب آية العنكبوت إلى نحو ما ذكره الكرماني من بعده مع شيء من التفصيل والتطويل.

وقد أطال الغرناطي في هذا الموضع بكلام طويل لا يخرج عما ذكره الإسكافي وما نقلناه عن الكرماني فلم نشأ التطويل بذكر شيء منه.

وما قدمناه من كلام كلٍّ من الإسكافي والكرماني يعد تعليلا وافيا وشاملا لبيان سرِّ التقديم والتأخير في هذه الآيات .

تقديم بعض متعلقات الفعل على بعض:

فمن ذلك :

قوله تعالى: ﴿فَإِذَا جَآءَتِ ٱلصَّآخَّةُ ﴿٣٣﴾ يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ ﴿٣٦﴾ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ﴿٣٧﴾﴾ (عبس:٣٧).

وقوله : ﴿يُبَصَّرُونَهُمْ ۚ يَوَدُّ ٱلْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِى مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍۭ بِبَنِيهِ ﴿١١﴾ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَأَخِيهِ ﴿١٢﴾ وَفَصِيلَتِهِ ٱلَّتِى تُـْٔوِيهِ ﴿١٣﴾ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنجِيهِ ﴿١٤﴾﴾ (المعارج:١٤)

قال الرازي :"المراد أن الذين كان المرء في دار الدنيا يفر إليهم ويستجير بهم ، فإنه يفر منهم في دار الآخرة ، ذكروا في فائدة الترتيب كأنه قيل: ﴿يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾﴾ بل من أبويه فإنهما أقرب من الأخوين بل من الصاحبة والولد ، لأن تعلق القلب بهما أشد من تعلقه بالأبوين[٦٢]."

فالمراد إذن أن ترتيب الآية قد ورد على الترقِّي من الأدنى إلى الأعلى ، على سبيل الإضراب عن الأدنى إلى الأعلى.

"فالآيات مسوقة لتصوير هول الموقف في يوم القيامة ، واضطرار الإنسان إزاء هذا الهول إلى التخلّي عن أهله والفرار من أحبابه وعشيرته ، وقد رتبت الآيات هؤلاء الذين يفر منهم ترتيبا يوحي بتصاعد الإحساس بهول هذا اليوم وكربه ؛ فالمكروب يفر من أخيه قبل أن يفر من أبويه ، فإذا زاد عليه الكرب فرَّ من الأبوين، وبقي مستمسكا بالصاحبة والبنين ؛ فإذا تضاعف عليه الهول فرَّ من الصاحبة ، وبقي متعلِّقا بولده ، حتى إذا بلغ به الكرب ذروته نسي فلذات كبده ، ولم يعد مهموما إلا بذاته ومصيره[٦٣].

وبينما جاء الترتيب في آية الفرار تصاعديا ، فقد جاء الترتيب في آية الافتداء تنازليا على العكس من موقف الفرار ؛ وذلك لأنه موقف قد بلغ

فيه الكرب والهول ذروته ؛ وهذا ما تكشف عنه الآيات السابقة لهذه الآية من أول السورة إلى هذا الموضع ، قال تعالى : ﴿سَأَلَ سَآئِلٌۢ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ ۝١ لِّلْكَٰفِرِينَ لَيْسَ لَهُۥ دَافِعٌ ۝٢ مِّنَ ٱللَّهِ ذِى ٱلْمَعَارِجِ ۝٣ تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ۝٤ فَٱصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا ۝٥ إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُۥ بَعِيدًا ۝٦ وَنَرَىٰهُ قَرِيبًا ۝٧ يَوْمَ تَكُونُ ٱلسَّمَآءُ كَٱلْمُهْلِ ۝٨ وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ۝٩ وَلَا يَسْـَٔلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا ۝١٠ يُبَصَّرُونَهُمْ ۚ يَوَدُّ ٱلْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِى مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍۭ بِبَنِيهِ ۝١١﴾ (المعارج :١١)

فلشدَّة الكرب وهوله ورغبة المجرم في سرعة الخلاص من الكرب والهول فإنه يسارع بالافتداء بأعزِّ ما يملك – إن كان يملك في ذلك اليوم شيئا – فليس الموقف موقف مساومة ؛ ثم إذا لم يقبل ذلك منه زاد أكثر وأكثر حتى يفتدي بمن في الأرض جميعا إن كان يملك ذلك على أن ينجو بذلك.

ملخص الوحدة

- تم التعريف بظاهرة التنويع الأسلوبي، وعرض أهم المصطلحات التي أطلقها البلاغيون القدماء عليها.

- عرض مجالات تحقق هذه الظاهرة في القرآن الكريم، وهي: مجال الصيغ - مجال العدد - مجال الضمائر - مجال الأدوات - مجال البناء النحوي.

- تحليل عدد من الآيات من خلال تلك المجالات، والوقوف على سر التنويع الأسلوبي فيها.

الهوامش

(١)الكشاف للزمخشرى ١٢٤/٤.

(٢)عبد السلام -المسدى/ الأسلوبية/ص ٩٤

(٣)دلائل الإعجاز ص ١٧٧.

(٤)انظر العدول إلى اسم الفاعل.

(٥)انظر الألوسى ١١/٢، والكشاف ١٠١/١، وانظر الرازى ٥٠٩/٢.

(٦)انظر الدر المصون ٤٠١/١.

(٧)انظر الظلال ١٣٥/١.

(٨)المثل السائر ص ١٨٠.

(٩)انظر تفسير الرازى ١٢٠/١٢ والكرمانى ص ٨١.

(١٠) الرازى ١٢٠/١٢، وأحب أن أنبه إلى أن أكثر المفسرين قد انشغلوا فى هذا الموضع بمجيء الكلام المذكور على لسان فرعون فى سورة الشعراء؛ وعلى لسان الملأ فى سورة الأعراف، فانشغلوا بذلك عن تأمل ما ذكرت، وقد التفت بعضهم إلى اختلاف الصيغة فى السورتين ولكنه لم يحسن توجيه ذلك الاختلاف. (انظر على سبيل المثال الكشاف٨١/٢، الألوسى ٢٢/٩-٢٣، مفاتيح الغيب ٢٢٨/٧، مسائل الرازى ص ٩٧.

(١١) انظر الكشاف ١٥٩/٣ وانظر أبو السعود ٤٧/٧، والنظر ما سبق نقله عن سيبويه فى معنى الفعلان فى الفصل الخاص بالمناسبة بين الصيغة والمعنى.

(١٢) الكشاف ٦٧/٢.

(١٣) الرازى ١٦٤/٧- انظر البحر المحيط ٣٢١/٤، -- أبو السعود ٢٣٥/٣.

(١٤) انظر الجلالين ص ٢٠٢.

(١٥) الألوسى ١٥١/٨.

(١٦) التبيان للطيبى ١٧١/١.

(١٧) انظر الكتاب لسيبويه ٢٤١/٢ وانظر شرح الشافية ١٠٨/١ وانظر الحملاوى شذا العرف ص ٤٤.

(١٨) انظر سيبويه ٢٤١/٢.

(١٩) انظر الدر المصون ٦٩٧/١.

(٢٠) انظر الكشاف ١٧٢/١ وانظر الرازى ٥٢/٥١/٤.

(٢١) انظر الطبرى ١١١/٢٩.

(٢٢) انظر المحرر الوجيز ٣٩٣/١، وقد نقل كلامه كل من القرطبى ١٢٣٨/٢، ١٢٣٩، والسمين الحلبى ٦٩٧/٦٩٦/١.

(٢٣) المثل السائر ص ١٨٣.

(٢٤) المثل السائر ص ١٨٣-١٨٤.

(٢٥) سورة النساء/١٤/١٣.

(٢٦) تفسير أبى السعود١٥٤/٢.

(٢٧) انظر الكشاف ١٤٦/٤.

(٢٨) انظر التبيان للطيبى ١٥٣/١.

(٢٩) انظر الكشاف السابق - الرازى ٧٦٩/١٥ الألوسى ٨٦/٢٩- الدر المصون ٣٩٢/٦، القرطبى ٦٨٠٤/١٠.

(٣٠) انظر البحر المحيط ٢٨٣/٢.

(٣١) روح المعانى ١٤/٣.

(٣٢) انظر بدائع الفوائد ١١٩/١. ط / دار الفكر.

(٣٣) انظر روح المعانى – السابق.

(٣٤) انظر تفسير أبى السعود ١٤٥/٥.

(٣٥) الالتفات عرفه الطيبي وغيره بأنه الانتقال من إحدى الصيغ إلى صيغة أخرى رعاية لنكتة . انظر التبيان في المعاني والبيان – بتحقيقي – ط مكتبة نزار الباز.

(٣٦) المثل السائر ص ١٧٩-١٨٠.

(٣٧) الكشاف ٦٧/٢.

(٣٨) الرازى ١٦٤/٧- انظر البحر المحيط ٣٢١/٤، -- أبو السعود ٢٣٥/٣.

(٣٩) د/ محمد نديم فاضل (التضمين النحوي في القران الكريم) طبع ونشر مكتبة دار الزمان- بالمدينة المنورة ٣٦٧/١ ، وسيأتي تعقيبنا على كلامه قريبا

(٤٠) الخصائص - (ج ١ / ص ١٩٥)

(٤١) الخطيب الإسكافي - درة التنزيل وغرة التأويل - تحقيق محمد مصطفى آيدين – ١٤٢٢هـ - ص ١٠٨٤ – ١٠٨٥.

(٤٢) ابن جماعة : ص ٣٠٤

(٤٣) الألوسي - تفسير روح المعاني – ط دار إحياء التراث العربي (ج ١٦ / ص ٤٤٧)

(٤٤) التحرير والتنوير (ج ١٢ / ص ٢٣)

(٤٥) الكرماني :١٤٥

(٤٦) تفسير ابن كثير (ج ١٢ / ص ٧٨)

(٤٧) سيرد ذلك - إن شاء الله تعالى – في خاتمة البحث.

(٤٨) مشكل إعراب القرآن - (ج ١ / ص ٧)

(٤٩) الكرماني :ص ١٢

(٥٠) أسرار التكرار في القرآن - (ج ١ / ص ٣٤)

(٥١) تفسير الرازي - (ج ٢ / ص ٨٠)

(٥٢) الشيخ زكريا الأنصاري : ص ٢٠

(٥٣) الغرناطي : ص ٣٩

(٥٤) الإسكافي – تحقيق محمد آيدين ٢٢٨

(٥٥) السابق

(٥٦) ابن جماعة : ص ٥٧ - ٥٨

(٥٧) تفسير الرازي - (ج ١٢ / ص ١٩٧)

(٥٨) ابن عادل - تفسير اللباب (ج ١٢ / ص ٤٦٧)

(٥٩) التحرير والتنوير - (ج ١ / ص ٣٢١٥)

(٦٠) أسرار التكرار في القرآن - (ج ١ / ص ٦٨)

(٦١) الإسكافي – تحقيق محمد آيدين – ٤٤/٢

(٦٢) السابق

(٦٣) تفسير الرازي - (ج ١٦ / ص ٣٧٠)

(٦٤) بلاغة العطف في القرآن الكريم ص ١٠٤